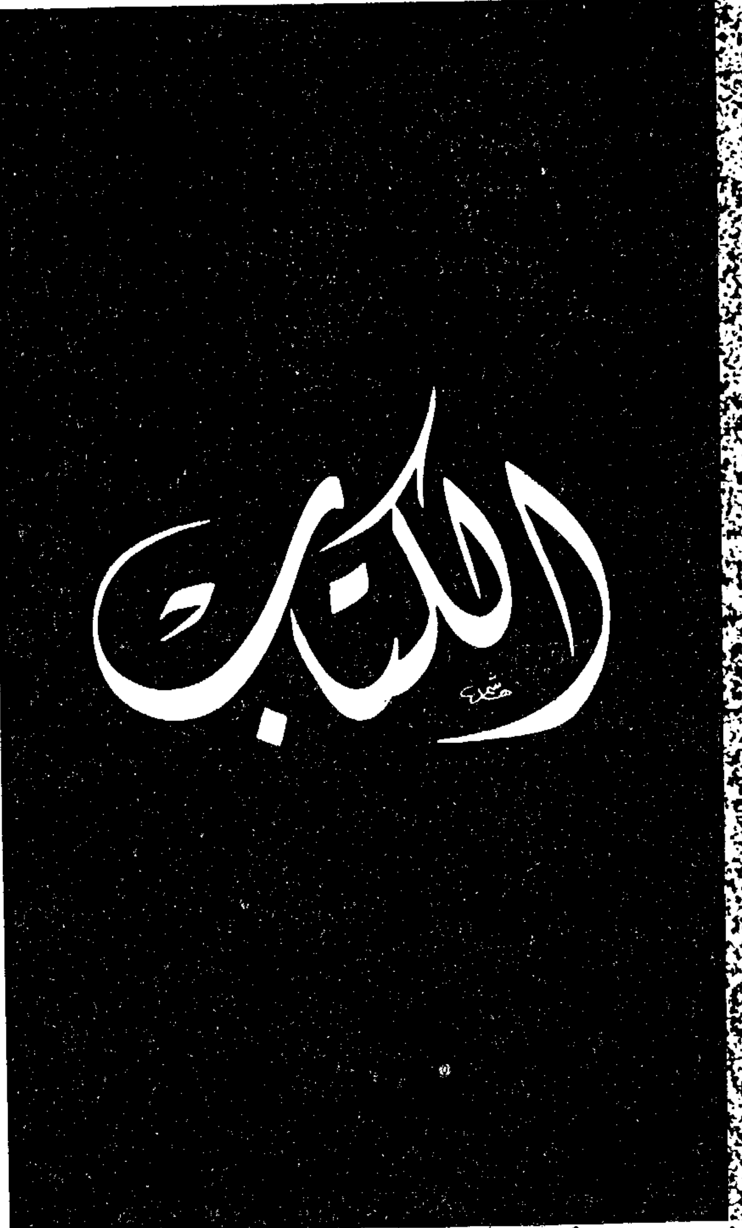


تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

فهرست العدد الاول السنة الاولى

الموضوع	الكاتب	ص
جمعيـــة ومجـــلة . . . . . . :	يوسف عزالدين	٦
الاســلام والشعر . . . . :	عبدالرزاق محيي‌الدين	٣
حذيفة بن اليمان العبسي . . . . . :	محمود شيت خطاب	١١
الشـــعبي . . . . :	جمال‌الدين الآلوسي	٢٢
المـــــربد . . . . :	محمود غناوي الزهيرى	٢٨
التطور في نظر علماء المسلمين . . . :	نعمان عبدالرزاق	٤٣
اغنية جديدة الى موطني (شعر) . . . :	خضر عباس الصالحي	٤٦
المشكلات الاقتصادية في الشعر العامي:	عبدالرزاق الهلالي	٤٨
نهضة العرب الفكرية . . . . . . :	موسى كاظم نورس	٥٨
هجسات في ليل الصمت . . . . . : في فلسطين (شعر) :	محمود البستاني	٦٨
طبيعة الشعر في عصر الرسول . . . :	يحيى الجبوري	٧٠
طريقة المشروع في التـربية . . . . :	أحمد حسن الرحيم	٧٩
بغداد في رحلة ابن بطـوطة . . . . :	حبيب الراوي	٨٣
عازف الناي لطاغور (ترجمة) . . . :	ابراهيم الخال	٨٨
الهـــــرمونات . . . . :	ناظم شوقي	٩٣
المصير الاخير (قصة) . . . . . . :	ابراهيم السعيد	٩٧
نوادر المخطوطـــات . . . . . . :	محمدهادي الاميني	١٠٥
أخبـــار الادب . . . . :	فريد فتيان	١١١
وفاة العبيدي الشاعر . . . . . . :	قلم التحرير	١١٧
مكتبـــة الكتاب . . . . :	قلم التحرير	١١٩
نداء الى الاعضاء . . . . :	سكرتير الجمعية	١٣٣
الموسم الثقـــافي . . . . . . :	. . . .	١٣٥
سنتنا الثـانية . . . . :	قلم التحرير	١٣٦

بغداد في رحلة ابن بطوطة

بقلم : حبيب الراوي
كليـــة البنات

في كتاب « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » للرحــــالة العربي ابن بطوطة [٧٠٤ – ٧٧٩هـ] نجد اخبارا متناثرة عن العراق بصــــورة عامة ، وبغداد بصورة خاصة ، ومع انه افرد لهذه المدينة موضوعا خاصا بها ، الا انه كان يعود بين الفينة والفينة مشيرا اليها ، ومن أسباب تناثر اخبار العراق في الرحلة ، انه كان هناك « العراق العربي » و « العراق العجمي » ويكونان تحت حكم سلطان واحد حينا ، أو يتجزآن تحت حكم عدد من السلاطين حينا آخر ذلك ان الدولة العباسية قد دالت وانتقل الحكم الى التتر الذين انتهى امرهم الى عدد من الامراء ينازع بعضهم بعضا ، وثمة سبب آخر لتناثر أخبار العراق هو انالرحالة كان يسير في طريق يجتاز هذا القطر الى قطر آخر ثم يعود اليه مرة أخرى عن طريق غيره ، اذ كانت خطته الا يسير في طريق واحد مرتين ، ما استطاع الىذلك سبيا فهو يرتحل من مكة ثم ينحدر الى الجنوب ميماً شطر شيراز ، وبعد ذلكيعود مرة أخرى الى العراق مارا بالكوفة وبغداد ، ثم يذهب الى تبريز ويعود الى بغداد ويتجه بعدها صوب الموصل وماردين ونصيبين ، ويعود أدراجه الى بغداد ومرة ثالثــــة •

وفيما يلي سنحاول أن نجمع ما تفرق من اجزاء الصورة التي رسمها ابن بطوطة ونلقي عليها شيئاً من الضوء :

لقد وصل الرحالة أرض العراق وهو ابن ثلاث وعشرين • وكان ذلك عام **(٧٢٧هـ)** وهي تحت حكم التتر آنذاك ، تستمد سلطانها من **(بكين)** عاصمة الصين حيناً ثم من مدينة « تبريز » ثم « السلطانية » في عهد « الجايتوخدابنده »[١] الذي يطلق عليه ابن بطوطه اسم « محمد خدابنده » ويفسر ســــبب هذه التسمية •

(١) بروكلمان – من تاريخ الشعوب الاسلامية (الترجمة العربية) ٧٣–٢٧٥

ومعناها ، فيقول اذا كان اسمه « خذابنده » فمعناه بالفارسية عبدالله ، وان قيل انما هو «خربنده» فمعناه غلام الحمار ، ويعلل سبب هذه التسمية ان التتر « يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته ، فلما ولد هذا السلطان ، كان اول داخل الزمال »[٢] .

لقد ورد ابن بطوطة بغداد ، في فترات متقاربة أكثر من مرة ، وكانت هذه المدينة آنذاك تابعة لغيرها ، كما اشرنا ، ولكن الرحالة ، كان يصفها كأنها حاضرة الخلافة[٣] ويبدو ان الذى أوحى اليه بهذه الفكرة هو رؤية السلطان ابى سعيد في بغداد مع حاشيته[٤] وزيره الامير غياث الدين ، الذى كان ابوه من مهاجـــرة اليهـــود .

وابوسعيد هذا قد ولي الملك وهو صغير السن ، استولى على الامور امير الامراء الجوبان ، وكان لهذا « الجوبان » ابن اسمه دمشق خواجة ، بلغ من الاستهتار حدا لم يستطع ابو سعيد التغاضي عنه ، ذلك ان زوجة ابيه (أي ابى ســـعيد) واسمها دنيا خاتون ، قد دخلت عليه (أي على ابي سعيد) وقالت له : « لو كنـــا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه » .. ثم اردفت « لقد انتهى أمر دمشق خواجه ان يفتك بحرم ابيك وانه بات البارحة عند طغى خاتون ، وقد بعث الي وقال : « ابيت الليلة عندك .. »[٥] وهنا ثارت ثائرة ابي سعيد ودبر خطة محكمة لقتل دمشق خواجه ، ونجحت الخطة ، وكان ابوه مع اولاده الاربعـــة بخراسان ، فجهز جيشا لقتل ابي سعيد ، فدارت الدائرة على الجوبان ، وانطلق مع أولاده لاجئين الى بعض الامراء الذين قتلوهم واحدا بعد الآخر وارســـلوا رؤوسهم الى ابى سعيد ، ويحاول ابن بطوطة ان يعلل فعلة اولئك الامراء تعليلات مختلفة أكثرها ينصب على خيانة تبدو من اولئك اللاجئين أو غدرا من الامراء ، ولكن يبدو أن قتل هؤلاء لم يكن الا ارضاء للسلطان ابى سعيد ، وللمبالغة في هذا الارضاء فانهم يرسلون اليه رؤوسهم ، ومما يلاحظ انه يطلق اسم السلطان حينـــا والملك حينا آخر على أبي سعيد وامثاله من الحاكمين .

(٢) الرحلة ص٢٢٧

(٣) الرحلة ٢٢١ (٤) الرحلة ٢٢٨ (٥) الرحلة ٢٢٨

ويبدو ان الصورة التي ارتسمت في ذهن هذا الرحالة منذ صغره عن بغداد ، قد ملأت قلبه شوقا اليها ، فهو ويسجّل أبياتا من الشعر ، كان ابوه يقرؤهـا عليه ويردّدها أكثر من مرة ، منها ما ينطوي على البكاء والتفجع على المدينة التـي أناخ عليها الدهر بكلكله وألبسها ثوب الاسى ، ومنها ما يشيد بمحاسنها وجمالهـا وطبيعتها ، من ذلك قول القاضي ابي محمد عبدالوهاب بن علي بن نضر المالكي البغدادي ومنها :

بغداد دارٌ لاهل المال طيبـة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت امشي مضافاً في أزقتهـا ... كأنني مصـحف في بيت زنديق

وللشاعر نفسه أيضا :

سلامٌ على بغداد في كل موطن ... وحق لها من السـلام المضـاعف
فوالله ما فارقتهـا عن قلى لها ... واني بشطى جانبيهـا لعـارف
ولكنها ضـاقت عليّ برحبهـا ... ولم تكن الاقـدار فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهـوى دنوه ... واخلاقه تنـأى به وتخـالف

الى غير ذلك من الابيات التي استشهد في تصوير حال بغـداد آنذاك •

ويشير ابن جزى ، وهو الكاتب الذي أملى عليه ابن بطوطه مذكراته هذه ، بعد ان فقدها في الهند الى النكبة التي حلت ببغداد نقلا عن قاضي القضاةابىالبركات بن الحاج أحمد اعزه الله ، قال سمعت الخطيب ابا رشيد : لقيت بمكة نورالدينبن الزجاج ، ومعه ابن أخ له فتفاوضنا الحديث ، فقال لي : هلك في فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيري وغير ذلك ، واشار الى ابن أخيه •

ولعل هذا هو السبب الذى حدا بابن بطوطة الا يتحدث عن علماء بغداد لفقدانهم ، بل أشار الى واحد منهم هو ابو جعفر عمر بن علي القزويني الـذي لقيه في أحد المساجد(١) ويورد حديثا مقتضيا عن المستنصرية اما النظامية ، فهـو يشير الى طريقة التدريس فيها دون أن يذكر أحدا من العلماء والاساتذة الذين طالما رفعوا أركان العلم في هاتين المدرستين •

(١) الرحلة ص ٢٢٥ (٢) الرحلة ص ١٧ (١٣) ص ٢٠٤

ويبدو أنه كان يؤمن بكرامات الاولياء والصالحين والمتصوفين ، فهو يعد د ويزور قبور هؤلاء في أي بلد يحل به ان كانوا أمواتا ، ويذهب للقائهم ان كانوا على قيد الحياة ويذكر عنهم بعض الحوادث الخارقة ، من ذلك ما ذكـــره عن الروضة وكيف يشفى المعتقدون فيها[٢] ، ومن ذلك كرامة للقاضي مجـــدالدين حين أراد السلطان محمد خدابنده أن يقتله ، فلم يستطع ، ثم اكب على رجليـــه لثما وتقبيلا[٣] وغيرها من الحوادث الخارقة الشيء مما تقبله ابن بطوطه •

وابن بطوطة لا يقف طويلا عند ذكر العادات والتقاليد الاجتماعية في بغداد ، بل يشير اليها اشارات عابرة ، كالعادة المتبعة في زيارة مقابر الاولياء والصالحين ، والطعام الذى يقدم للغرباء في الزاوية القائمة عند ابي حنيفة ، ولعل مرد هـــذا الايجاز الذى تعمده ، هو انه كان يتوخى الاخبار الطريفة والوقائع والاحوال غير المألوفة ، وقـد وجد الكثير منها في الاقطـــار النائية كالهند والصين وبعض أقطار افريقية ، لذلك نجده يقف عندها طويلا •

ومما يجلب انتباهه المركز الممتاز الذى كانت تتمتع به الخواتين (جمـــع خاتون) فاذا أراد السلطان أن يمضي أمرا كتب فيه « عن أمر السلطان والخواتين » ويصور مركز الخواتين في موكب الملك ، حين سفره فقد بولغ في ترتيب الجنود ، واجراء تمارين مصحوبة بالموسيقى ودق الطبول يفهم منها تكـــريم الملك « فاذا نزلوا ينزل السلطان ومماليكه في محلة على حدة ، وتنزل كل خاتون من خواتينه في محلة على حدة ، ولكل واحدة منهن الامام والمؤذن والقرار والسواق •• »[١]

ويشير الى سفره الى تبريز صحبة علاءالدين ، ويبدو انه وزير هناك ، وفي هذه المدينة يقابل السلطان ولا يشير الى اسمه ، انما يشير الى رسالة وجهها الى والي بغداد خواجه معروف ، لكي يزونه بالزاد والركوب ، وكان ذلك سـبب عودته الى بغداد[٢] •

ويتحدث ابن بطوطة عن موت ابى سعيد ، الذى تحيط به الشكوك ، وقـد ظن ان احدى نسائه قدمت له السم فمات ، فاستقل كل أمير بولاية واصبح سلطانا

عليها ، ويسر المؤلف اسماء اولئك الامراء ، وكان من بينهم الشـــيخ حسن ابن عمة السلطان السابق ، والذى أصبحت بغداد من نصيبه .

وعلى الجملة فان رحلة ابن بطوطة تعد أثرا رائعا في التراث العربي ، يقدم صورا فريدة ، تنطوى على ملاحظات دقيقة عن أحوال الممالك والامصار التي مر بها هذا الرحالة في الشرق والغرب ، فسرد ما وصل الى سمعه وبصره بكل أمانة أمانة واخلاص ، لذلك فقد عني بها المستشرقون في العصر الحاضر ، ونقلت كلها أو بعض اجزائها الى أكثر من لغة من اللغات الحية .